أخيراً قرّ رأيي عند نهاية السنة الرابعة في سمنار بولتافا ـ وكانت تعادل البكالوريا ـ أن أعود إلى لبنان ومنه إلى باريس حيث أدخل السوربون وأدرس المحاماة. وقد كنت أكره المحاماة فما فكّرت في درسها حبّاً بها. بل لأنّها من جميع المهن الحرّة تمتّ إلى الكتابة والخطابة بصلة. ولأنّها مورد رزق ما كنت آمل آنذاك أن يأتيني من شق القصبة.

وهنا كذلك تدخّل الموجّه الأعظم وإذا بي قبيل نهاية عام ١٩١١ في مدينة تدعى «والا والا» من ولاية واشنطن في الولايات المتحدة الأميركيّة بدلاً من العاصمة الفرنسيّة. وإذا بي في السنة التالية أدرس الحقوق في جامعة ولاية واشنطن لا في السوربون! لقد تمّ كلّ ذلك كما تتمّ الأمور في الحلم. ذلك أن شقيقي الأكبر الذي كان قد سافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٠ عاد في زيارة قصيرة إلى لبنان بعد غيبة إحدى عشرة سنة من غير أن يكون لي أو لأحد غيري من أهله أقلّ علم بنيته وعزمه على العودة. وكانت عودته قبل موعد سفري إلى باريس بأسبوعين. وكنت ألقي عليه وعلى أخي الآخر الذي لحقه إلى أميركا اتّكالي في القيام بنفقات دروسي ومعيشتي في باريس. فأقنعني في النهاية بأن أعود معه إلى أميركا وأن أتابع دروسي في جامعة من جامعاتها. وهكذا كان.